مجلــــة العلـــــوم التربــــــوية والدراســــات الإنســــانيــة
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2709-0302 (online)
ISSN: 2617-5908 (print)



منهج المستشرقين في دراسة القرآن الكريم
إجناتس جولدتسيهر (١٨٥٠-١٩٢١م)
انموذجًا(*)

الباحثة/ مرام محمد لطفي أبو مخ
طالبة دكتوراه، قسم التاريخ
جامعةُ النَّجاحِ الوطنيَّةُ، نابلس- فلسطين
Maram.abum@gmail.com

د/ مُحمَّد عثمان الخطيب
أُستاذ مُشاركٌ، قسم التاريخ
كلية العلوم الإنسانية والتربوية
جامعةُ النَّجاحِ الوطنيَّةُ، نابلس- فلسطين
m.alkhateeb@najah.edu
ORCID: 0009-0009-7076-2768

*) تاريخ تسليم البحث 27/7/2025 تاريخ قبوله للنشر 2/10/2025
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

منهج المستشرقين في دراسة القرآن الكريم
إجناتس جولدتسيهر (١٨٥٠-١٩٢١م)
انموذجًا

الباحثة/ مرام محمد لطفي أبو مخ
طالبة دكتوراه، قسم التاريخ
جامعةُ النَّجاحِ الوطنيَّةُ، نابلس- فلسطين

د/ مُحمَّد عثمان الخطيب
أُستاذ مُشاركٌ، قسم التاريخ
كلية العلوم الإنسانية والتربوية
جامعةُ النَّجاحِ الوطنيَّةُ، نابلس- فلسطين

الملخص

تناولت الدّراسة مناهج المستشرقين الذين عمدوا إلى دراسة الشرق بمنهجية عدائية منحازة غايتها تشويه صورة الإسلام عقيدة وفكرًا وحضارة، انطلاقًا من المنظور الاستشراقي الاستعماري، والعقيدة اليهودية المسيحية، لذلك تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على المستشرق اليهودي اجناتس جولدتسيهر كنموذج للدراسات الاستشراقية في تناول النصوص القرآنية، وكشف الطعون المنهجية التي سلكها في دراساته.

ركزت الدّراسة على مفهوم الاستشراق ونشأته ودوافعه، وتناولت تعريف المستشرقين له والحقول التي تناولوها في دراساتهم، والمناهج العلمية التي سلكوها، كما سلطت الضوء على ضعف وخلل المنهج العلمي الذي اتبعه اجناتس جولدتسيهر في دراسته الحضارة الإسلامية، ونصوص القرآن وعلومه، محاولة منه لتشويه القرآن الكريم، من خلال الطعون التي أوردها في كتبه، وأسلوب الالتفاف على القراءات المتواترة، والأسانيد الصحيحة، والمصادر الأصيلة، وسقوطها المنهجي.

كلمات مفتاحية: الاستشراق، المناهج الاستشراقية، مطاعن جولدتسيهر، النصوص القرآنية.

The Orientalist Methodology in Studying the Holy Qur'an Ignaz Goldziher (1850-1921 AD)

Maram Muhammad Lutfi Abu Mokh
PhD Student, Department of History
An-Najah National University, Nablus - Palestine

Dr. Mohammad Othman AL Khateeb
Associate Professor, Department of History
College of Humanities and Education
An-Najah National University, Nablus - Palestine

Abstract

This study examines the approaches of Orientalists who sought to study the East with a biased, hostile methodology aimed at distorting the image of Islam as a faith, thought, and civilization, based on the colonial Orientalist perspective and the Judeo-Christian faith. Therefore, the study aims to shed light on the Jewish Orientalist Ignaz Goldziher as a model for Orientalist studies in addressing Quranic texts, and to expose the methodological challenges he employed in his studies.

The study focused on the concept of Orientalism, its origins, and motivations. It addressed Orientalists' definition of Orientalism, the fields they addressed in their studies, and the scientific methods they employed. It also highlighted the weakness and flaws in the scientific method Ignaz Goldziher followed in his study of Islamic civilization, Quranic texts, and its sciences. Goldziher attempted to distort the Holy Quran through the challenges he included in his books, his evasion of transmitted readings, authentic chains of transmission, and authentic sources, and his methodological failures.

Keywords: Orientalism, Orientalist approaches, Goldziher's objections, Quranic texts.

مقدمة الدراسة:

تُعدُّ بعض دراسات المستشرقين والمبشرين من معاول الهدم التي استهدفت الإسلام بشكل عام، والكتاب والسنّة بشكل خاص بهدف نقض ربانية الإسلام وسماوية رسالة ونبوءة محمد صلى الله عليه وسلم، وإثبات أنهما نبت أرضي بشري وثقافة قوم في القرن السّابع الميلادي يهدف إلى تحويل الواقع السياسي والديني في حياة الناس وتغييره.

سعت الدراسات الاستشراقية لتحقيق أهدافها وأغراضها الفكرية والدينية والسياسية للطعن بالقرآن الكريم وسماويته بسيف الشبهات من خلال موضوعات متعددة منها القراءات في القرآن الكريم، وتكاد "تتفق كلمة المستشرقين على أن القرآن ليس من عند الله، وأن محمد صلى الله عليه وسلم استقى مادته من الأحبار والرهبان الذين كان يتلقى عنهم المعلومات الدينية من كتب العهدين"(١)، في إشارة إلى العهد القديم (التوراة)، والعهد الجديد(الانجيل)، وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ما هو إلّا إبداع ذاتي أو إنجاز أدبي، أو مشروع محمدي يهدف إلى إيصال فكرة انبثقت في ذهن النبي عليه السلام كما هو مفهوم الوحي عند اليهود(٢).

من أبرز من ولجوا هذا الباب المستشرق اليهودي اجناتس جولدتسيهر (١٨٥٠-١٩٢١م) الذي يعّد الأب الروحي والمؤسس الأول للدراسات الإسلامية في أوروبا، الذي عمد إلى دراسة الشرق بمنهجية عدائية منحازة، غايتها تشويه صورة الإسلام وتعاليمه عقيدة وفكرًا وحضارة انطلاقًا من المنظور اليهودي والعقيدة اليهودية المسيحية(٣)، وهو من أبرز من اشتغلوا في التشكيك بالقرآن الكريم كنص سماوي، والسنة النبوية كوحي وتشريع، وأول من نسب الفقه الإسلامي إلى القانون الروماني، وقد توجهت الأنظار إلى كتاباته لما حملته من مطاعن حول قراءات القرآن الكريم من خلال مقدمة كتابه "مذاهب التفسير الإسلامي" "schools of koranic commentators" الذي نشره عام (١٩٢٠م)، وحدّة أسلوبه التي جعلته قبلة المستشرقين ومصدر كتاباتهم وعنه أخذت الموسوعة البريطانية في التعريف بالقرآن الكريم(٤)، وقد تصدر جمع من المحققين لترجمة الكتاب والرد على الطعون التي جاء بها(٥)، كما لحق جولدستيهر في طعنه بالقرآن المستشرق أبراهام جايجر في كتابه "ماذا أخذ

---

(١) حسن، محمد خليفة، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدس، ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، **مجلة معهد الامام الشاطبي للدراسات الإسلامية**، المدينة المنورة، العدد(٢)، (٢٠٠٦م)، ص٣.

(٢) ال جهجاه، الجوهرة بنت بخيت، موقف المستشرقين النقاد من القرآن الكريم واعجازه البلاغي، ترجمة ودراسة، **مجلة جامعة الازهر**، كلية اللغة العربية، ١(٣٤)، (٢٠١٤م)، ص٧٧٦.

(٣) كيشانه، محمود، **الاستشراق اليهودي المعاصر**، المنهج والغايات، ط١، مركز براثا للدرسات والبحوث: بيروت، (٢٠٢٤م)، ص٦.

(٤) عباس، فضل حسن، **قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية**، (١٩٩٩م)، عن مادة(القرآن)، ص٢٦٥-٢٦٧.

(٥) أول من رد على طعون جولدستيهر العلامة محمد طاهر بن عبد القادر الكردي في كتابه "**تاريخ القرآن وغرائب رسمِهِ وحكمه**" عام (١٣٦٥هـ/١٩٤٦م)، ومنهم أيضًا: د. عبد الوهاب حمودة في كتابه "**اللهجات والقراءات**" عام (١٣٦٨هـ/١٩٤٨م)، وعبد الفتاح شلبي في كتابه "**رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين**" عام (١٣٧٩هـ/١٩٦٠م)، وعبد الحليم النجار الذي قام بترجمة طعون جولدستيهر والتعليق عليها، للتفاصيل ينظر: جبل، محمد حسن، **الرد على المستشرق اليهودي جولدتسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية**، ط٤، مكتبة الآداب: القاهرة، (٢٠٢٣)، ص٤-٥.

محمد من اليهودية" ?was hat mohammed aus dem judenthume aufgenommen، والذي فتح الطريق إلى المنصات الأكاديمية ودراسات أعلام المستشرقين، بل فتح الباب على مصراعيه لنسبة قصص القرآن الكريم إلى النصرانية الهرطقية(١).

مشكلة الدّراسة:

تسعى الدراسة للإجابة عن الإشكالية المتمثلة بالسؤال المركزي التالي:

- ما المنهجية التي سلكها المستشرق اليهودي إجناتس جولدستيهر في نقد النصوص القرآنية، والأخطاء التي نتجت عن هذه المنهجية؟

وتفرّع عن هذا السؤال أسئلة تسعى الدّراسة للإجابة عنها:

- ما المقصود بالاستشراق، والمستشرقين؟
- ما المنهجية التي اتبعوها في دراسة التراث الإسلامي، ونصوص القرآن الكريم؟ وآفات القراءات الاستشراقية؟
- ما الدوافع التي حدت بهم إلى تشويه وتدليس الحقائق والنتائج؟

أهداف الدّراسة:

تسعى الدراسة إلى التعرف على مفهوم المنهج في الدّراسات الاستشراقية، والانكشاف على آفات الأخطاء المنهجية التي اتبعها المستشرق اليهودي جولدتسيهر في دراسة نصوص القرآن والدراسات الإسلامية.

أهمية الدّراسة:

تساهم هذه الدراسة في قراءة مناهج المستشرقين في دراسة نصوص القرآن الكريم، والنتائج الخاطئة التي نتجت عن هذه المنهجيات.

كما وتكمن أهمية الدراسة في تسليط الضوء على دراسات المستشرقين عمومًا وجولدتسيهر على وجه الخصوص لتفتح المجال أمام الباحثين لإعادة قراءة كتب المستشرقين والتصدي للرد عليها من خلال بيان بطلانها، والمغالطات المنهجية التي اتبعها هؤلاء والتي نتج عنها معلومات مشوهة ومغلوطة عن التراث الإسلامي والنص القرآني.

منهج الدّراسة:

اعتمدت الدّراسة على المنهج الوصفي والتحليلي، لمنهجيّة المستشرقين في قراءة التراث الإسلامي، والأخطاء العلمية والمنهجية التي اتبعها جولدتسيهر في الدراسات القرآنية، والمنهج النقدي الذي يكشف اللثام عن المقدمات، ويبين تهافت وعوار النتائج المشوهة التي وصل إليها.

محاور الدّراسة:

في ضوء دراسة الإشكاليات المنهجيّة عن جولدتسيهر في قراءة النّصوص القرآنية تحددت خطة البحث في المحاور التّالية: المحور الأوّل: مفهوم الاستشراق نشأته ودوافعه، المحور الثاني: مناهج المستشرقين في دراسة العلوم الإسلامية وآفاتها، المحور الثالث: مخالفات جولدستيهر المنهجية.

(١) عامري، سامي، **هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى**، ط٢، مركز رواسخ: الكويت، (٢٠١٨م)، ص٤٩-٥٠.

المحور الأول: مفهوم الاستشراق نشأته ودوافعه

الاستشراق لغة:

بتتبع المعاجم اللغوية القديمة لا يوجد تعريف لكلمة الاستشراق بهذا الإطلاق، لذلك تخضع معرفة معناها لمنهج المعاجم اللغوية لمعرفة معناها من خلال قواعد الصرف وعلم الاشتقاق، وهي مشتقة من الفعل "شَرَقَ" وتحمل في لغة العرب عدد من المعاني، ومن أبرزها: النسبة إلى جهة الشرق، جاء في معجم الوسيط: "والمشارقة سكان المشرق وأحدهم مشرقي...، والمشرق جهة شروق الشمس، والبلاد الإسلامية في شرق الجزيرة العربية"(١)، وطلب علوم هذه البلاد وثقافتهم، لذلك يقال: "استشرق: طلب علوم الشرق ولغاتهم...، ويقال لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجة"(٢)، ومما سبق يفهم أن الكلمة "استشراق" مشتقة من الفعل "أشرق"، دلالة على جهة الشرق، ثم أضيفت إليها الألف والسين للدلالة على الطلب "استشرق" أي طلب علوم الشرق من قبل الغرب، ومن هنا يأتي السؤال عن مفهوم الاستشراق، والشّرق الذي توجهت إليه كتابات المستشرقين، وهذا ما يبينه المحور التالي حول مفهوم الاستشراق.

مفهوم الاستشراق (Orientalism):

الاستشراق كلمة مشتقة من الشرق، ويعنى بدراسة علوم الشرق من مختلف الجوانب من معارف وحضارة وعقائد وعادات(٣)، وهذا المصطلح مُحْدثٌ لم يكن معروفًا إلا من خلال الدراسات الأكاديمية، وفي هذا المعنى يقول إدوارد سعيد: " إن لفظ الشرق لفظ أكاديمي صرف، والمستشرق هو كل من يدرس، أو يكتب عن الشرق أو يبحث فيه، وكل ما يعمله هذا المستشرق يسمى استشراقًا...، وهو بإيجاز أسلوب غربي للسيطرة على الشرق وامتلاك السّيادة عليه"(٤)، والاستشراق في مفهومه العلمي ومادته المعرفية هو" أسلوب في التفكير مبني على تميز متعلق بوجود المعرفة بين الشرق والغرب، فهو ليس مجرد موضوع سياسي أو حقل بحثي ينعكس سلبًا باختلاف الثقافات والدراسات أو المؤسسات، وليس تكديسًا لمجموعة كبيرة من النصوص حول المشرق...، إنه توزيع للوعي الجغرافي إلى نصوص جمالية وعلمية واقتصادية واجتماعية، وفي فقه اللغة وما شابه ذلك في المجال المعرفي، أو العلم الذي يتوصل به إلى الشرق بصورة منظمة، كموضوع للتعلم والاكتشاف والتطبيق، وهو نوع من الاسقاط الغربي على الشـــرق وإرادة حكم الغرب"(٥)، وهذا هو المعنى المراد عند الحديث عن الجانب الفكري من المنظور الغربي للاستشراق.

---

(١) **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، ط٤، مكتبة الشروق الدولية: القاهرة، (٢٠٠٤م)، ص٤٨٠.

(٢) رضا، أحمد، **معجم متن اللغة**، دار مكتبة الحياة: بيروت، (١٩٥٨م)، ج٣، ص٣١١.

(٣) زقزوق، محمود، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، ط١، دار المعارف: القاهرة، (٢٠٠٨م)٩، ص١٨.

(٤) ادوارد سعيد، **الاستشراق، السلطة والإنشاء**، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية: (٢٠٠٦م)، ص٤٤.

(٥) ادوارد سعيد، **الاستشراق، السلطة والإنشاء**، ص٣٧.

المستشرق:

اختلفت كلمة الباحثين في تعريف "المستشرق" فمنهم من عرّفه تجوّزًا أنه: "كل من يتخصص في أحد فروع المعرفة المتصلة بالشرق من قريب أو بعيد"(١)، وقيل هو "الذي يدرس تراث الشرق، وكل ما يتعلق بتاريخه، وآدابه، وفنونه، وعلومه، وتقاليده وعاداته"(٢)، وقد حدَّده مالك بن نبي وخصص التعريف أكثر فقال: "أننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية"(٣)، ومنهم من يرى أن دور المستشرق تجاوز مجرد البحث في علوم الشرق إلى تشويه صورة الإسلام والتشكيك به، فعرّفوا المستشرق بأنه: "كل متخصص غربي في البحث والدّراسة حول الإسلام والمسلمين بقصد التشويه والتشكيك فيه"(٤)، والطعن في مصادره وتدليس المعلومات والترجمات، والقراءة العدائية التي لا تقيم وزنًا للمنهج العلمي، ومن الجوانب التي اعتنى بها المستشرقون في دراساتهم: "التاريخ العربي وعلم الكلام، والشريعة، والفلسفة والتصوف، وتاريخ اللغة العربية وآدابها، وفقهها، والدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم والسنة النبوية.."(٥)، ومما سبق من التعريفات وبتتبع المصادر التي تناولت موضوع الاستشراق نجد معظمها يحصر هوية المستشرق بالغربي دون الشرقي، وقد أخرجوا الأخير من دائرة الاستشراق فهو شرقي بحكم مولده ونشأته وبيئته، فلا يندرج تحت مسمى مستشرق وأن قام بدراسة الشرق، وهذا الرأي أوجه ويتناسب مع المعنى اللغوي والاصطلاحي، فالمستشرق "لا بد أن يكون غربيًا، ولا فرق بين أن يكون نصرانيًا أو يهوديًا، أو مسلمًا، أو ملحدًا، ينكر الدين من أصله، وإن كان السواد الأعظم ممن ركب حركة الاستشراق من غير المسلمين، المهم أنه عالم غربي طلب دراسة علوم الشرق وخاصّة، الشرق الإسلامي العربي"(٦).

ويمكن إجمال ما سبق أن الاستشراق هو حركة علمية تهدف إلى دراسة الشرق الإسلامي من جميع جوانبه السياسية، والاقتصادية، والتّاريخية، والجغرافية، والانثروبولوجية، وغيرها، من خلال إتباع منهج ما، والهيمنة على البلدان الإسلامية، لتحقيق أهداف وغايات دينية وسياسية.

نشأة الاستشراق

تباينت آراء الباحثين حول بدايات الدارسات الاستشراقية وتحديد زمن نشأتها كعلم رسمي منهجي، وفي ذلك يقول السباعي "لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عُني بالدراسات الشرقية، ولا في أي وقت كان ذلك، لكن

(١) عبد الرؤوف، محمد عوني، **جهود المستشرقين في التراث العربي**، ط١، المجلس الأعلى للثقافة: القاهرة، (٢٠٠٤م)، ص٣.

(٢) علي، محمد حسين، **المستشرقون والدراسات القرآنية**، ط١، دار المؤرخ العربي: بيروت، (٢٠٠٠م)، ص١٠.

(٣) مالك بن نبي، **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث**، ط١، طبعة دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت (١٩٦٩م)، ص٥.

(٤) الزيادي، محمد فتح الله، **ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها**، ط١، المنشأة العامة للنشر والتوزيع: (١٩٨٣م)، ص٥.

(٥) شوق، شاكر، الاستشراق: أخطر تحد للإسلام، **مجلة دراسات**، الجامعة الإسلامية العالمية، شيتاغونغ، المجلد٣، ديسمبر (٢٠٠٦م)، ص٧٣.

(٦) محمد، إسماعيل علي، **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، مدخل لعلمي لدراسة الاستشراق**، ط١، الكلمة للنشر والتوزيع: الشرقية، مصر، (١٩٩٨م)، ص١٢-١٣.

المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصـــدوا الأندلس إبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارســـها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم خاصّة الفلسفة والطب والرياضيات"(١)، بينما يرجع بعض الباحثين نشـأة الاسـتشـراق إلى محاولات فردية أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشـر الميلادي، إذ كان النشاط العلمي للمسلمين في الأندلس إبان فتحها مصدر ولادة الاستشراق وانطلاقته(٢).

ويرى البعض أن نشأة الاستشراق ترجع إلى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، يقول رودي بارت: "إذا نظر المرء إلى الوراء إلى تاريخ تطور الاستشراق ولم يتردد في التبسيط رغبة في زيادة الوضوح، فإنه يستطيع أن يقول أن بداية الدراسات العربية والإسلامية ترجع إلى القرن الثاني عشر، ففي عام (٥٢٨هـ/١١٤٣م) تمت ترجمة معاني القرآن الكريم لأول مرة إلى اللغة اللاتينية بتوجيه من الأب بيتروس فنيرابيليس رئيس دير كلوني وكان ذلك على أرض إسـبانية"(٣)، ومن الباحثين من يرى بداية الاسـتشـراق مع حملة نابليون على مصـر سـنة (١٧٩٨م)، حينما قدم عدد كبير من العلماء في جميع فروع المعرفة مع نابليون، الذي اصـــطحب معه مطبعة عربية ســـاعدت هؤلاء العلماء في القيام بأبحاث متعددة(٤)، اصطحاب هذا الفيلق من العلماء وكتابة الدراسات وطباعته الكتب فيه دلالة واضحة تكشف أهداف استعمارية محضة، وذلك في ظل التنافس البريطاني الفرنسي حول استعمار مصر.

بينما اعتبر آخرون بدايات الاستشراق ونشأته تعود إلى محاولة تفهُّم العقلية الساميَّة، وهذا المصطلح اذا أُطلق ينصرف الذهن إلى اليهود، واليهود يتعلقون بالساميَّة، ويتهمون كل من يقف في طريقهم بمعاداته للساميَّة، حتى أن بعضًا منهم عمد إلى اتهام العرب السـاميين بمعاداتهم للسـاميَّة، ومحاولة التَّعرُّف على العقليَّة السـاميَّة يمكن أن ينظر إليها على أنها جزء ممن أسهم في نشأة الاستشراق، إذا نظرنا إلى أن بعض المستشرقين قد بدأ اهتمامه باللغة العبرية وتراث اليهود، فوجد شيئًا من العلاقة بين دراسة تراث اليهود ودراسة الإسلام والمسلمين..، ومن أبرز من اشتهر عنه هذا الاتجاه المستشرق اجناتس جولدستيهر(٥).

مما سبق نلاحظ أن الآراء حول بدايات الاستشراق ونشأته تباينت، بعضها ربط ظهور هذا العلم بالأحداث والوقائع التّاريخية، وبعضهم حدده بتاريخ بعينه، وقسم ثالث حدده بحقبة أو عصر من العصور التي مرّ بها الشرق والعالم، بيد أن هناك من قيَّد بداية الاسـتشـراق بواقعة علمية أرجع بداياته إلى مجمع فينَّا الكنسـي، وفي ذلك يقول الدكتور علي النملة: "والذين يحاولون تحديد نشأة الاستشراق تحديدًا علميًا قائمًا على واقعة علمية يعودون بنشأة الاستشراق إلى سنة(٧١٢هـ/١٣١١م)، حينما عُقد مَجْمع فينَّا الكنسي ونادى بإنشاء كراس للغات العبرية والعربية

---

(١) السباعي، مصطفى، **الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم**، ط١، دار الوراق: عمان، (١٩٩٨م)، ص١٧-١٨

(٢) السباعي، مصطفى، **الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم**، ص ١٧-١٨؛ محمد، إسماعيل علي، **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، مدخل لعلمي لدراسة الاستشراق**، ص١٩.

(٣) رودي بارت، **الدراســـات العربية والإســـلامية في الجامعات الألمانية**، ترجمة: مصـــطفى ماهر، المركز القومي للترجمة: القاهرة، (٢٠١١م)، ص١٤.

(٤) مصطفى، إسماعيل عبد الفتاح، **الاستشراق بين النشأة والأهداف**، حولية جامعة الازهر، القاهرة، ٨(٨)، (٢٠١٦م)، ص١٥.

(٥) النملة، علي إبراهيم، **كنه الاستشراق، المفهوم الأهداف، والارتباطات**، ط٢، مكتبة الملك فهد الوطنية: الرياض، (٢٠١٠م)، ص٥١.

والسريانية في روما على نفقة رجال الدين فيها، وتم انشاء الكراسي ونشطت الدراسات الاستشراقية فدرست اللغة العربية وعلوم المسلمين، وترجمت الكتب من العربية إلى اللاتينية ترجمة علمية، ويردد هذا الرأي كثير ممن كتبوا عن نشأة الاستشراق"(١)، ومنهم من أرجع ذلك إلى الحروب الصليبية، ومنهم من يرى أنها نتيجة التقاء الأوروبيين بالثقافة العربية الإسلامية المتفوقة على حضارتهم وتطورت حتى امتدت وتكونت واكتمل صرحها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام (١٨٧٣م)(٢)، وغيرها من الآراء التي اختلفت في بداية الاستشراق ونشأته كعلم منظم له مناهجه وأساليبه ومؤسساته.

دوافع الاستشراق:

في سياق الحديث عن دوافع الاستشراق الذي ساق المستشرقين إلى العناية بدراسة الشعوب العربية والحضارة الإسلامية يمكننا أن نكشف على الدوافع من خلال تتبع نتاجهم الفكري، ومن أبرز الدوافع:

أولًا: الدافع الديني

يعد الدافع الديني من أبرز دوافع المستشرقين للكتابة في علوم الشرق، فقد بدأ بالرهبان، وهؤلاء كان همهم أن يطعنوا في الإسلام، ويُشوّهوا محاسنه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام دين لا يستحق الاحترام، وأن المسلمين قوم هَمج لصوص وسفّاكوا دماء يحثهم دينهم على الملذات الجَسَديَّة، ويبعدهم عن السمو الروحي والخلقي(٣)، ويقول البهيّ في هذا المعنى: "والسبب الرئيسي المباشر الذي دعا الأوروبيين إلى الاستشراق هو سبب ديني بالدرجة الأولى، فقد تركت الحرب الصليبية في نفوس الأوروبيين ما تركت من آثار مرّة عميقة، وجاءت حركة الإصلاح الديني المسيحي فشعر المسيحيون – بروتستانت وكاثوليك – بحاجات ضاغطة لإعادة النظر في شروح كتبهم الدينية، ولمحاولة تفهمها على أساس التطورات الجديدة التي تمخضت عنها حركة الإصلاح، ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية، وهذه أدت بهم إلى الدراسات العربية فالإسلامية، لأن الأخيرة كانت ضرورة لفهم الأولى، وخاصة ما كان منها متعلقًا بالجانب اللغوي، وبمرور الزمن اتسع نطاق الدراسات الشرقية حتى شملت أديانًا ولغات وثقافات غير الإسلام وغير العربية"(٤)، ومن جهة أخرى نشر التبشير بدينهم بين المسلمين فكان الاستشراق عدّة الدعاة، لتشويه صورة الإسلام وحضارته وتراثه، وادعاء أن الفقه الإسلامي مقتبس من القانون الروماني، والتنفير من اللغة العربية(٥).

ومن جهة أخرى اتفقت دوافع الإقبال على الاستشراق وأسبابه من قبل اليهود والنصارى، لإضعاف الإسلام وتشويه صورته والتشكيك في قيمه بإثبات فضل اليهودية عليه، وادعاء أن اليهودية هي مصدر الإسلام الأول(٦).

(١) النملة، علي إبراهيم، **كنه الاستشراق، المفهوم الأهداف، والارتباطات**، ص٣٧-٣٨.

(٢) محمد، إسماعيل، **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، مدخل لعلمي لدراسة الاستشراق**، ص٢٥.

(٣) السّباعي، مصطفى، **الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم**، ص١٨-١٩.

(٤) البهي، محمد، **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**، ط١١، مكتبة وهبة: القاهرة، (١٩٨٥م)، ص٤٣٠.

(٥) الميداني، عبد الرحمن حبنكة، **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها**، ط٨، دار القلم: دمشق، (٢٠٠٠م)، ص١٢٨.

(٦) النملة، علي إبراهيم، **كنه الاستشراق، المفهوم الأهداف، والارتباطات**، ص٦٥.

ثانيًا: الدافع الاستعماري

هزيمة الصليبيين أمام صخرة الإسلام دفعتهم إلى العودة لاحتلال بلاد المسلمين، فاتجهوا لدراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات ولغات وتاريخ وغيرها، بل ودراسة مواطن الضعف، ولما تمَّ لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا، وبثِّ الوهن والإرباك في تفكيرنا، وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث، وما عندنا من عقيدة وقيم انسانية، واحياء مفاهيم قوميّة: كالفرعونية، والفينيقية والأشورية، والكردية والتركية...، ليتسنى لهم تشتيت شمل الأمة الواحدة، التي تجمعها رابطة وحدة، هي وحدة الدين(١).

ثالثًا: الدافع السياسي

برز هذا الدافع الاستشراقي مع بداية استقلال الدول الإسلامية عن الاستعمار الغربي، وبرزت أهميته أكثر باندحار الجيوش الغربية وعودتها إلى بلادها، إلّا أن كل دولة من هذه الدول ولتظل هيمنتها مستمرة على الدول الإسلامية جعلت لها ملحقًا ثقافيًا في كل بلد في سفارتها يتقن اللغة العربية، يتعرف من خلالها على أفكار رجال الفكر والصحافة والسياسة، فيتعرف على أفكارهم ويبثُّ فيهم اتجاهات وسياسات دولته، وزرع الدسائس للتفرقة بحجة تقديم المعونة وإسداء النصح، لذلك تظل الدول الغربية بحاجة إلى مشورة المستشرقين وآرائهم عند رسم سياساتهم الخارجية في بلاد الشرق الاسلامي، وفي هذا السياق يقول الدكتور إبراهيم اللبان: "والواقع أن رجال السياسة في الغرب على صلة وثيقة بأساتذة هذه الكليات (كليات اللغات الشرقية في أوروبا) وإلى آرائهم يرجعون قبل أن يتخذوا القرارات المهمة في الشئون السياسية الخاصة بالعرب والمسلمين، وقد سمعت أحد كبار المستشرقين يتحدث أمامي فيذكر أن مستر(انتوني ايدن) رئيس وزراء انجلترا، كان قبل أن يضع قرارًا سياسيًا في شئون الشرق الأوسط يجمع المستشرقين المستعربين ويستمع إلى آرائهم ثم يقرر في ضوء ما يسمعه منهم.."(٢).

رابعًا: الدافع العلمي

وهذا الدافع انطلق من اتجاهين:

الاتجاه الأوّل: علمي موضوعي (نزيه)، ويراد حب الاطلاع على الحضارات والأمم الأخرى وأديانها، وثقافاتها، ولغاتها، وأصحاب هذا الاتجاه قلة من المستشرقين، كانت أخطاؤهم أقل من غيرهم في فهم الإسلام وتراثه، لانهم لم يتعمّدوا التّحريف، لذا كانت بحوث هؤلاء أقرب إلى الدّقة، وإلى المنهج العلمي السليم في أبحاث عدد كبير من المستشرقين، بل منهم من اهتدى بدراسته إلى الإسلام(٣)، ومن هؤلاء الباحثين الموضوعيين المستشرق الفرنسي

(١) السّباعي، مصطفى، **الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم**، ص٢١-٢٢؛ الميداني، عبد الرحمن حبنكة، **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها**، ص١٢٩.

(٢) زقزوق، محمود، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، ص٧٧.

(٣) الميداني، عبد الرحمن حبنكة، **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها**، ص١٣١.

"كارلايل"، والمستشرق الألماني وأحد علماء العربية في عصره "يوهان رايسكة"، وتورميدا، لكن بعضهم أتهم بالزندقة والوثنيّة لأنهم انصفوا الحضارة الإسلاميّة والنبي محمد صلى الله عليه وسلم(١).

الاتجاه الثاني: علمي مشبوه (غير نزيه): ويقصد به دراسة الشرق الإسلامي في شتى المجالات العلمية، كعلم الفلك والجغرافيا، والتاريخ، وعلوم الطب والفلسـفة والرياضـة، ونقلها إلى الغرب للإفادة منها في نهوض أوروبا، وبناء حضـارتها، خاصّـة أن المسـلمين وصـلوا إليها وإلى قمتها بعد فتح الأندلس، حيث كان الغرب يعيش في ظلام دامس، وتخلف حضـاري، فكان لا بد من تعلم اللغة العربية، والتتلمذ على يد علماء المسـلمين، والارتحال إلى بلادهم والانكباب على علوم الشرق الاسلامي من منبعه الصافي، مع احتفاظهم بمعتقداتهم واتجاهاتهم الاستشراقية الحاقدة، بجمع المخطوطات الإسـلامية وترجمتها إلى اللغات الأوروبية، وهذا دافع للتغلب على حضـارة الإسـلام والتّخلص من سيطرتهم(٢).

خامسًا: دوافع ومطامع اقتصادية

يُعدُّ من أبرز الدوافع وأشدها "التي حرَّضت كثيرًا من المستشرقين من الغربيين على الدراسات الاستشراقية رغبة بغزو البلاد الإسلامية غزوًا اقتصاديًا، بهدف الاستيلاء على الثروات الأرضية، واستغلال الموارد الطبيعية، والحصول عليها بأبخس الأثمان، وإماتة الصـناعات المحلية، لتكون بلاد المسـلمين بلاد اسـتهلاك لما تصـدره المصـانع الآلية الغربية، وضـمن هذا الدافع وجهت المؤسسـات الاقتصـادية الغربية من يهتمون بالدراسـات الاسـتشـراقية ليكونوا وسطاءهم ورسلهم ومستشاريهم والمترجمين لهم في مهماتهم ومطالبهم الاقتصادية(٣).

ومن ناحية أخرى هناك من ولج باب الاسـتشـراق بدافع مادي محض بغية التكسـب، وفي ذلك يقول الندوي: "كثير من أصـحاب المكتبات التجارية والقائمين عليها يشـجعون نشـر المؤلفات والكتب التي تدور حول الإسلاميات والشرقيات، ويشرفون على نشرها لما يرون لها من سوق نافقة في أوروبا وآسيا...، وهي لا شك وسيلة لتجارة رابحة، وكسب أموال خطيرة"(٤).

جولدستيهر، حياته واثاره العلمية:

اجناتس جولدتسـيهر، مسـتشـرق يهودي مجري، من أعلام المسـتشـرقين وأبرزهم، ولد عام (١٨٥٠م)، بمدينة اشتولفيسنبرج في بلاد المجر، وكانت آنذاك جزءًا من الإمبراطورية النمساوية(٥)، أظهر منذ طفولته نبوغًا عقليًا نادرًا، علّمه أبوه العبرانية، خاصة النَّص الأصلي للكتاب المقدس، ثم شَرع بعد ذلك في دراسة التلمود، وفي شبابه بدأ يقرأ لفلاسـفة اليهود من القرون الوسـطى بلغتهم العبرية الصـعبة، ثم أخذ بعد ذلك حضـور دروس اللغات، والفلسـفة،

---

(١) مصـطفى، إسماعيل عبد الفتاح، **الاسـتشـراق بين النشـأة والأهداف**، ص٤٥؛ زقزوق، محمود، **الاسـتشـراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، ص٧٧.

(٢) محمد، إسماعيل، **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، مدخل لعلمي لدراسة الاستشراق**، ص٣٩-٤١.

(٣) الميداني، عبد الرحمن حبنكة، **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها**، ص١٣٠

(٤) الندوي، أبو الحسن، **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية**، دار القلم: (١٩٨٣م)، ص١٨٨.

(٥) بدوي، عبد الرحمن، **موسوعة المستشرقين**، ط٣، دار العلم للملايين: بيروت، (١٩٩٣م)، ص١٩٧.

والأدب الألماني، وترجم وهو في المرحلة الثانوية قطعًا من اللغة الفارسـية إلى العبرية، التحق بعد ذلك بجامعة بودابست، بفصول الفيلولوجيا الكلاسيكية، وتاريخ الفلسفة، وعلوم اللغة، والدراسات الشرقية(١).

حياته العلمية:

بعد دراسته في بودابست أرسل جولدتسيهر بمنحة حكومية إلى ألمانيا عام (١٨٧٠م) وحصل على درجة الدكتوراه، وكان في التاسعة عشرة آنذاك، ثم جلس في مكتبة ليْدن يدرس المخطوطات، واجتمع بعدد من المتخصصين في الدراسات الإسلامية، وكذلك علماء الفيلولوجيا الكلاسيكية، وعدد من الناشرين للمصادر العربية، يقول عن تأثير هذه اللقاءات على تطويره: "لقد مهدت التقاليد الفيلولوجية في هولندا لتطبيق المناهج النقدية، على المصادر الإسلامية، ولقد رسمت المواجهات التي جمعتني بالعلماء هناك في ليْدن طريقًا مؤثرًا متشبعًا، وكانت كتاباتي الإسلامية دوما محل تقدير عند أغلب الهولنديين"(٢).

أقام جولدتسيهر بالقاهرة مدة ثم سافر إلى سوريا وفلسطين، وفي أثناء إقامته بالقاهرة استطاع أن يختلف إلى بعض الدروس في الأزهر، والتقى بعدد من العلماء كجمال الدين الأفغاني، وصحب الشيخ طاهر الجزائري، وأخذ العربية عن شيوخ الأزهر لا سيما محمد عبده(٣).

أشهر مصنفاته:

ترك جولدنسيهر إرثًا علميًا ضخمًا من مؤلفات وتصنيفات، ما بين كتب وأبحاث شملت دراسة الإسلام بكافة علومه، والفلسفة، والتصوف والفرق والمذاهب، والأدب الغربي واللغة، حتى أصبحت من المصادر المعتمدة عند الباحثين، وأما مكتبته المكونة من ستة الاف مجلدًا، فقد اشتراها رئيس المنظمة الصهيونية العالمية وضمها إلى مكتبة الجامعة العبرية في القدس، بينما ظلت مخطوطاته في ملكيَّة ابنه(٤)، ومن أشهر أعماله العلمية في الإسلاميات والتي شملت موضوعات متنوعة كثيرة في شتى المجالات الشرعية "دائرة المعارف الإسلامية"، ومن مؤلفاته أيضًا: الظاهرية مذهبهم وتاريخهم: نشر سنة (١٨٨٤م)، ودراسات محمدية: صدر سنة(١٨٩٠م)، والعقيدة والشريعة في الإسلام نشر سنة (١٩١٠م)، ومذاهب التفسير الإسلامي نشرسنة (١٩٢٠م)، كما نشر مختصرات منها: دين الإسلام (١٩٠٦م)، والأساطير عند اليهود (١٨٧٦م)، وتطور العلوم الإسلامية في العقود الثلاثة الأخيرة (١٩٠٠م)، ودراسة موجزة عن الفقه الإسلامي (١٩٠٧م)، وأثر الفارسية على الإسلام(١٩١٢م)، وغيرها من المختصرات(٥).

ومن الأبحاث التي نشرها جولدتسيهر في الأدب واللغة العربية: فقه اللغة العربية (١٨٦٩م)، والكتابة التاريخية في الأدب العربي (١٨٩٥)، ومساهمة في تاريخ علم النحو عند العرب (١٨٧٣م)(٦).

---

(١) بدوي، عبد الرحمن، **موسوعة المستشرقين**، ص١٩٧.

(٢) جولد تسيهر، **دراسات محمدية**، ترجمة: الصديق بشير نصر، ط٢، مركز العالم الإسلامي لدراسة الاستشراق، لندن: (٢٠٠٩م)، ص٣٨١.

(٣) جولد تسيهر، **دراسات محمدية**، ص ٣٨٢-٣٨٣؛ الزركلي، **الأعلام**، ط١٥، دار العلم للملايين: بيروت، (٢٠٠٢م)، ج١، ص٨٤

(٤) جولدتسيهر، **دراسات محمدية**، ص ٣٤.

(٥) بدوي، عبد الرحمن، **موسوعة المستشرقين**، ص٢١٠- ١٠٢؛ العقيقي، نجيب، **المستشرقون**، ج٢، ط٣، دائرة المعارف: مصر، (١٩٦٤)، ص٩٠٦.

(٦) بدوي، عبد الرحمن، **موسوعة المستشرقين**، ص٢١٠- ١٠٢.

وفي سياق الحديث عن مؤلفات المستشرق جولدتسيهر وأبحاثه لا بد من الإشارة إلى الكتب التي اعتمدها والمصادر التي رجع إليها في الحديث والتاريخ والقرآن الكريم وعلومه، علمًا أن بعض هذه المصادر لم يخل من طعون في نسبتها إلى مؤلفيها، وهذا مما يؤخذ على جولدتسيهر عدم التحقق من نسبتها مما أوقعه في أخطاء علمية، ومن المصادر التي اعتمدها:

- في مجال التاريخ: كتاب "مروج الذهب" للمسعودي، و"تاريخ الطبري"، و"الأخبار الطوال" للدينوري، و"تاريخ الخلفاء" للسيوطي.
- وفي أخبار المدن والأمصار اعتمد: كتاب "البلدان" لياقوت الحموي، وفتوح البلدان" للبلاذري.

وفي تناوله القضايا الإسلامية اعتمد على: "الأغاني" للأصفهاني: يعد كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني كتاب أدب وسمر وغناء ومجون وليس كتاب علم ولا كتاب تاريخ وفقه يعتمد عليه، وله طنين ورنين في آذان أهل الأدب والتاريخ، وهذا الكتاب الذي جعله المستشرق جولدتسيهر مرجعًا تاريخيًا معتمدًا، صاحبه متَّهم في أمانته الأدبيَّة والتاريخية، ولقد تحدث العلماء فيه قديمًا، قال الذهبي أن الأصفهاني في كتابه الأغاني: "كان يأتي بالأعاجيب يحدثنا وأخبرنا، وكان أبو الفرج الأصبهاني أكذب الناس، كان يشترى شيئًا كثيرًا من الصحف، ثم تكون رواياته كلها منه"[1].

ومن يقرأ الأغاني يرى حياة الأمويين والعباسيين لهوًا ومجونًا وغناء وشرابًا، وهذا يناسب المؤلِّف وخياله وحياته، ومن يرجع إلى كتب التاريخ الصحيحة يجد صورة أخرى فيها علم وجهاد وأدب، فكتاب الأغاني ليس كتاب تاريخ يُحتج به.

ومن الكتب أيضًا: "العقد الفريد" و"ونفح الطيب" و"ألف ليلة وليلة" و"سيرة عنترة" وغيرهما، وهذه الكتب وأن كان جولدتسيهر اعتمد عليها في دراساته، لكنه لم يعتمدها بوصفها مصدرًا تاريخيًا موثوقًا، بل كمادة تعكس الذهنية الشعبية والدينية والاجتماعية، وعلى سبيل المثال يعتبر كتاب ألف ليلة وليلة انعكاسًا للفكر الشعبي الديني والأفكار والممارسات الدينية الذي كان شائعًا في طبقات العامة في الإسلام، وهو مليء بالقصص التي تظهر التصوُّف الشعبي، والخرافة والإيمان بالكرامات والجن والغيبيات[2].

وفي مجال العقيدة والفرق والمذاهب: اعتمد على مصادر شيعية واعتزالية وصوفية مثل: الكافي" للكليني، و"تاريخ اليعقوبي"، و"الكشاف" للزمخشري، و"إحياء علوم الدين" للغزالي، و"عوارف المعارف" للسهروردي"، و"الفتوحات المكية" لابن عربي، وغيرها[3].

ومن هنا يمكن تتبع كتابات جولدتسيهر والأخطاء التي وقع فيها استنادًا إلى المصادر التي اعتمدها، إضافة إلى المنهجية العلمية التي اتبعها في مقدماتها، والتي نتج عنها نتائج مشوَّهة ومضطربة من المعلومات حول علوم القرآن وقضايا الإسلام.

---

(١) الذهبي، محمد بن أحمد، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر: بيروت، (١٩٦٣م)، ج٣، ص١٢٣.

(٢) جولدتسيهر، **العقيدة والشريعة في الإسلام**، ترجمة: عبد العزيز عبد الحق وعلي حسن، ط١، دار الكاتب المصري: (١٩٤٦م)، ص١٣

(٣) عبد الناظر، محسن، الحياة الدينية في القرن الأول بين الواقع وما افترضه المستشرق جولد تسيهر، **مجلة مركز البحوث السنة والسيرة**، جامعة قطر، العدد(٣)، (١٩٨٨م)، ص٥٦٠.

المحور الثّاني: مناهج المستشرقين في دراسة العلوم الإسلامية وآفاقها

مفهوم المَنْهج:

يستعمل مصطلح المنهج في الدراسات والأبحاث العلمية، ويراد منه الطريقة أو الخطة المرسومة التي يضعها المستشرق ويسير وفقها في دراسة مادة علمية، من حيث الأساليب الصحيحة، والتحليل، والمناقشة التي توصل إلى حقائق علمية مُستيقنة يسلم بها البحث العلمي[١].

مما تقدم ينبغي أن يلتزم المستشرق المعايير العلمية في دراسته، كتحري صحة المعلومات والمصادر الأولية التي يبني عليها البحث، وتستنبط منها الأحكام، والتجرد من الأفكار المسبقة حتى لا يلوي الكلام من أجل إثبات الأفكار، وأن يستوفي جميع الجوانب المتعلقة بموضوع الدراسة وغيرها من المعايير العلمية، التي كانت بمثابة مقدمة وتوطئة يحاكم إليها منهج "اجناتس جولدتسيهر" - محل البحث - والكشف عن مدى علميَّته فيما كتب في الإسلام، وحضارته، وعقائده، وتشريعاته.

اتبع جولدتسيهر والمستشرقين مناهج متنوعة في دراسة الشّرق الإسلامي وعلومه وحضارته عامة، ودراسة النص القرآني والقضايا التشريعية خاصة، ومن أبرز هذه المناهج وأشهرها:

أولًا: المنهج الشّكي

وهو المنهج الأساس الذي اعتمدت عليه كتب الاستشراق في دراسة النص القرآن الكريم خاصة، والعلوم الإسلامية عامة، ولم تخلُ دراسة مستشرق مهما كان منهجه في الدراسة اعتماد منهج الشك أداة فيه، وهو ناتج عن عدم ثقة المستشرق في صحة النص القرآني؛ ما دفعهم إلى الشّك بأمانة نقله وسلامة تبليغه، وجمعه وترتيبه، كما شككوا بعلومه وقضاياه، وهذا المنهج يتبعه كثير من المستشرقين اتباعًا لمدرسة منهج الشك الديكارتية "أنا أشك إذًا أنا موجود" والهدف من هذا المنهج تمرير بعض الأفكار والايديولوجيات وهذا خلل علمي بيّن[٢].

أكثر ما أعمل المستشرقون المنهج الشكي في القرآن الكريم، وتعد مواقفهم من القصص القرآني نموذجًا من إفرازات هذا المنهج، الذي كان هدفهم من نصوصه مجرد الشك، متمسكين بعقيدتهم التي يؤمنون بها وهم بصدد نقد النص القرآني، وتكاد تتفق كلمة أكثر المستشرقين على أن القرآن ليس من عند الله، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم استقى مادته من الأحبار والرّهبان الذين كان يتلقى عنهم المعلومات الدينية من كتب العهدين[٣]، وبلغ التشكيك في القرآن وإنكار أنه وحي من الله تعالى أن اعتبره إبداع ذاتي، وإنجاز أدبي، أو توصل فكري، أو امتلاء إنساني، ويرجع ذلك إلى أن مفهوم الوحي عند اليهود لا يعدو أن يكون بمعنى الإلهام أو انبثاق الفكرة في ذهن النبي[٤].

---

(١) جبل، محمد حسن، **الرد على المستشرق اليهودي جولد تسيهر في مطاعنه على لقراءات القرآنية**، ص٣٢.

(٢) كيشانه، محمود، **الاستشراق اليهودي المعاصر المنهج والغايات**، ص٢٦.

(٣) التهامي، نقرة، **القرآن والمستشرقون في الدراسات العربية والإسلامية**، مجموعة مؤلفين، ط١، مكتب التربية العربي لدول الخليج: (١٩٨٤م)، ص٢٦؛ وينظر: كيشانه، محمود، **الاستشراق اليهودي المعاصر المنهج والغايات**، ص٢٨.

(٤) ال جهجاه، الجوهرة، **موقف المستشرقين النقاد من القرآن الكريم** وإعجازه، ص١٠.

ومن المستشرقين من تعامل مع القرآن كمخطوط يخضع للبحث والتحليل والنقد أسوة بالكتاب المقدس، وبعضهم تعامل معه على أنه نص أدبي مثل أي نص آخر يخضع للتحليل والنقد كإنتاج بشري، لانتزاع القدسية عنه، كما يفعلون مع كتبهم الدينية التي يدرسونها كما يدرسون الآثار والوقائع التاريخية والأساطير والملاحم الخرافية، وتقويمها بالمقاييس الأدبية الأوروبية تارة، وبالعربية تارة أخرى[١].

ثانيًا: منهج الانتقاء في اعتماد المصادر

مسلك الانتقاء في التعامل مع مصادر علوم القرآن والعلوم الإسلامية عمومًا مسلك ثابت لدى أبرز المستشرقين، ونجاعة هذا يعني أن المصادر قيّمة في دراساتهم، فهي القاعدة المغذية والمادة الخام التي يرتكزون عليها في بحث الموضوعات القرآنية، فينتقون من الروايات الشاذة، والأخبار الباطلة، التي تخدم دعاويهم ودوافعهم للطعن في صحة القرآن وسماويته، وصور ذلك:

اعتماد عدد معين ومحدود من المصنفات في علوم القرآن، وانتقاء الروايات الضعيفة والمنقطعة من مصادر علوم القرآن، وتجاهل المصادر الأساسية أو الصحيحة المتواترة، إضافة إلى توليد النصوص والشواهد بتصَيُّدها من كتب الأدب والتاريخ ككتاب الأغاني للأصفهاني، والفهرست لابن النديم، ومروج الذهب للمسعودي، والإحياء للغزالي، وكتاب الحيوان للدميري وغيرها في دراسة علوم القرآن[٢]، وهو خلل منهجي كبير نبّه بعض المستشرقين لخطورته وعواره حيث يسعى إلى التشويش والبلبة العلمية والفكرية[٣].

وهكذا نجد مستشرقين أمثال نولدكه، وبيل، وبلاشير، وبورتون في مجال جمع القرآن الكريم لا يتجاوزن كتب المصاحف لأبي داود والفهرست لابن النديم، والاتقان للسيوطي، في حين لا نجد عندهم اعتمادًا يذكر على الروايات الصحيحة في كتب الصحاح والسنن أو مقدمات المفسرين[٤]، والأمر لا يتوقف عند منهج المتقدمين، بل تبعهم في ذلك المستشرقين المعاصرين بالرغم من أن الكتب الأولية المعتمدة متاحة يسهل الوصول إليها والتأكد منها، وهذا يدل على استمرارية منهج الانتقائية عند المعاصرين تبعًا لسلفهم.

---

(١) مقبول، ادريس، **الدراسات الاستشراقية للقران الكريم في رؤية إسلامية**، بحث ضمن ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، السعودية، (١١/٢٠٠٦م)، ص١١.

(٢) عزوزي، حسن، **مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم**، بحث ضمن ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، السعودية، (١١/٢٠٠٦م)، ص١٧.

(٣) كما فعل المستشرق الفرنسي بلاشير في معرض حديثه عن عدد السور المكية والمدنية حيث أحال في أحد الحواشي على كتاب "الإتقان في علوم القرآن" ثم قال بعد ذلك: "حسب رواية يقدمها لنا ابن النديم في كتابه الفهرست فإن عدد السور المكية (٨٥) وعدد السور المدنية (٢٨)، ويعقب بقوله: "لاحظوا فالمجموع (١١٣) سورة!"، ورغم ما عرف به من حسه النقدي ومنهجه الصارم في البحث لم يجرؤ على أن يقول: "ربما وقع سهو في كلام ابن النديم أو أن العدد (٨٦) تحول إلى (٨٥) خطأ أثناء النسخ أو أي شيء من هذا القبيل ما دام إجماع الأمة الإسلامية وما تنطق به الملايين من المصاحف المطبوعة على أن عدد السور (١١٤) سورة، ينظر: عزوزي، حسن، **مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم**، ص١٨.

(٤) عزوزي، حسن، **مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم**، ص١٦.

ثالثًا: منهج التأثير والتأثر (النزعة التأثيرية)

هذا المنهج يقوم على البحث عن أصول عناصر الفكرة في الإسلام وعلومه وحضارته بعد تجزئتها وردها إلى مصادر خارجية كاليهودية والنصرانية أو الحضارات اليونانية والفارسية أو الهندية بدلًا من الاعتراف بأصالتها وردها إلى الحضارة الإسلامية، ويعدُّ من المناهج الشائعة في دراسة النص القرآني من قبل المستشرقين، لكنهم لم يستخدموه بطريقة علمية، وإلا لانتهوا إلى نتائج مغايرة لتلك التي انتهوا إليها حول النص القرآني مصـــدرًا وعلومًا، بدليل أنهم كانوا يستندون إلى مجرد ذكر قصة في القرآن للزعم بأنها تمثّل ما ورد في التوراة مثلًا[١]، وهذا مرجعه التعصب الذي لا يكاد ينفك عنه المستشرق، الذي يفضي إلى أحكام تعسفية ومعلومات مشوهة حاضرة في كتابات المستشرقين.

وكان أكثر المستشرقين اهتمامًا بهذا المنهج في كتاباته المستشرق اليهودي ابراهام جايجر A.Geiger وقد ظهر له كتابًا لافتًا يحمل النزعة التأثيرية بعنوان " ماذا أخذ القرآن عن اليهودية" عام (١٨٣٣م)، وكان هذا إيذانًا ببداية حقبة جديدة في البحث الاستشراقي؛ يهدف للتنقيب عن كل ما قد يبدو للمستشرقين في القرآن منقولًا عن اليهودية، وتبعه في ذلك المستشرقون اليهود أمثال: جولدتسيهر، وبرنارد لويس، الذين مالوا إلى إبراز دعوى تأثر الإسلام باليهودية وإظهاره بصورة المقتبس من ديانات أخرى، ومثل ذلك فعل المستشرقون المسيحيون، ولم يتناول أحد منهم كيفية صيرورة الإسلام دينًا مستقلًا متناسقًا شاملًا[٢]، فهذا المنهج غايته أن يجعل القرآن متأثرًا ومقتبسًا من التوراة والانجيل لينفي عنه ربانية المصدر، ويرجعون أسسه ومبادئه ومضامينه إلى الأصول اليهودية والنصرانية عملًا بهذا المنهج كونه طبقّ في بيئتهم على اعتبار أن النهضة الأوروبية قد ارتكزت على الحضارة اليونانية، فكلما أنشئ مذهب فكري ديني جديد وجد له نظير في الحضارة اليونانية فطبق هذا المنهج على علوم الإسلام وتراثه.

رابعًا: منهج المقابلة والمطابقة (الفيلولوجي)

يعتمد هذا المنهج على المقارنة بين النصوص والمطابقة بينها من خلال تحليلها على عناصرها الأولى، وإرجاعها إلى أخرى سابقة لها، وخطأ هذا المنهج أنه مبني على أحكام مسبقة مفادها أن النصوص القرآنية التي يدرسونها ليست إلا صورة لها وردت هنا وهناك قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، ليصل أتباع هذا المنهج من المستشرقين إلى أن النصوص القرآنية تطابق نصوص التوراة أو الانجيل، أما إذا وجد اختلاف بين النصوص فيلصقون تهمة التحريف والتبديل بالقرآن والإسلام، ولا يردونها إلى ما حل بنصوصهم من تغيير وتبديل[٣].

ومن المواضع التي استخدم فيها هذا منهج المقابلة والموازنة تعليقه على قول الله تعالى: ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ {البقرة: ٥٤}، قال: "أي فليقتل

(١) كيشانه، محمود، **الاستشراق اليهودي المعاصر المنهج والغايات**، ص٣٢، بركات هاني، **الاستشراق والتربية**، ط١، دار الفكر: الأردن: (٢٠٠٣م)، ص١٥٤.

(٢) عزوزي، **مناهج المستشرقين في دراسة الفكر الإسلامي**، ص٢١.

(٣) ادريس، محمد جلاء، **الاستشراق الإسرائيلي في الدراسات العبرية المعاصرة**، ط١، مكتبة الآداب: القاهرة، (٢٠٠٣م)، ص٤٠.

بعضكم بعضًا، أو بالمعنى الحرفي للنص: "فاقتلوا أنفسكم بأنفسكم"، وهذا ينطبق على ما جاء في سفر الخروج فصل (٣٢) فصلة (٢٧)، الذي هو مصدر الكلمات القرآنية"(١).

خامسًا: المنهج التاريخي

يمكن تعريف المنهج التاريخي الذي سلكه المستشرقون بأنه عبارة عن "طريقة تقوم على جمع وقائع تاريخية أو اجتماعية، وترتيبها ثم الإخبار عنها والتعريف بها باعتبارها الظاهرة الفكرية ذاتها، دون التعمق في تفسيرها أو تأويلها الديني"(٢)، ويعدّ هذا المنهج من أهم مناهج البحث العلمي الذي عوّل المستشرقون على قواعده وإجراءاته في قراءة التراث من خلال دراسة ظواهره وأحداثه وتفسيرها بالرجوع إلى أصلها وتحديد التغيرات والتطورات التي تعرضت لها ومرت عليها والأسباب المسؤولة عن ذلك، وهو منهج قائم على عدم الصدق بالمصادر قرانًا وسنة، لذا لا يأخذون كل ما تقوله المصادر الإسلامية إلا ويعملون فيه معاول النقد، ولا يقيمون له وزنًا إلا لما يثبت أمام النقد التاريخي، وقد طبقوه في القصص القرآني، لذا بالغوا في نقد قصة بحيرة الراهب وورقة بن نوفل وبعض الحوادث الأخرى التي لا تثبت دليلًا، واستخدموها كمقدمات بنوا عليها نتائجهم(٣).

يرى جولدتسيهر أن الفكرة الرئيسية في المنهج التاريخي هي: أن الأديان تمر بمراحل نشأة وتطور في التاريخ، وأنها خلال حياتها تخضع لقانون التأثير والتأثر، فالدين السابق يؤثر في الدين اللاحق، ومن ثم فالديانات خاضعة للمؤثرات التاريخية، فهي ديانات متطورة في التاريخ(٤)، وغايته من تقريراته إثبات أن الإسلام ليس دين أصيل بذاته، وأن الحضارة الإسلامية ترجع إلى أصول يونانية وهندية، وفارسية، ويهودية، ونصرانية..

المحور الثالث: مخالفات "جولدستيهر" المنهجية

لمعرفة صحة المنهجية العلمية التي تعصم الباحث من الانحراف واتباع الهوى فيُضل ويقلب الحقائق، لا بد أن تراعى قواعد البحث العلمي، لأن المنهجية العلمية مرتبطة بتلك القواعد من حيث المادة والتصور والمصادر والتحليل، والمعلومات الأولية التي تبنى عليها الدراسة، إضافة إلى الموضوعية والتجرد من الفكرة المسبقة، وعدم القياس على شيء آخر كما فعل جولدستيهر في قياس القرآن على كتب اليهود والنصارى، وتجنب التعميمات والتناقض في الطرح، ومن خلال تلك الضوابط المتفق عليها في الدراسات العلمية يمكن محاكمة ما جاء في طعونات جولدستيهر حول القراءات في القرآن الكريم ومناقشتها والرد عليها، ومن الأخطاء المنهجية التي اتبعها جولدستيهر:

١-التحلل من الاعتداد بسند الروايات:

لم يكن المستشرق "جولدستيهر" في طعنه بالقرآن من خلال القراءات حريصًا على دراسة صحة المعلومات، والقراءات التي نزل بها جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم في القرن السابع الميلادي أمر يتعلق بكتاب سماوي يُحتّم عليه التوثُّق من صحة إسناد الروايات التي نقلت عن من نزل فيهم القرآن، أو اللجوء إلى

---

(١) جولدتسيهر، **مذاهب التفسير الإسلامي**، ص١٠.

(٢) ماضي، محمود، **الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده**، ط١، دار الدعوة: الإسكندرية، (١٩٩٦م)، ص٣٣.

(٣) كيشانه، محمود، **الاستشراق اليهودي المعاصر المنهج والغايات**، ص ٦٨-٦٩.

(٤) جولدتسيهر، **العقيدة والشريعة في الإسلام**، ترجمة: محمد يوسف موسى، مصر، (١٩٤٨م)، ص١٣.

النقوش والآثار المتعلقة بالقراءات، أو دراسة النَّص نفسه الذي هو محل الدارسة (النص القرآني)، لكن المستشرقين بالعموم و"جولدستيهر" بالخصوص اعتمدوا منهج "التنقيب" كما أطلق عليه المستشرق آرثر جفري، مقابل منهج أهل النقل أو أراء القدماء، وأنها تجميع الآراء والظنون والأوهام والتصورات كما أطلق عليه جفري، معتبرين المتن دون الإسناد كما هو منهجهم في إقامة نص التوراة والانجيل أو رسائل أرسطو[1]، وهذا الإعراض عن دراسة الأسانيد ووثاقتها يجعلهم يجهلون قيمة الإسناد وأهميته لتمحيص المعلومة التاريخية وعمَّن نقلت، وممن سمعها وعايشها، بل جعل المستشرق يبرر عدم اعتداده بإسناد الروايات أنه أمر سهل يستطيع أي أحد اختراعه، وقد ظهر هذا في كتاباته بأسلوب المتهكم[2].

والرد على هذه المغالطة العلمية من خلال معرفة حقيقة الإسناد وعلم "الجرح والتعديل" في الإسلام، وأن الإسناد من خصائص هذه الأمة، وقد بدأ الاهتمام بسند الروايات وحال الرواة وضبطهم منذ العقد الثاني من القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، وقد كُتبت مصنفات في هذا الباب، وفي كل هذه المؤلفات متلقّي القرآن والقراءات وأسانيدهم وتفاصيلهم[3].

٢-استقاء المعلومات من كتب هزلية:

حيث اعتمد على كتب لا علاقة لها بعلوم القرآن أو بالعلم القرآني البتة، كما اعتمد على كتاب ألف ليلة وليلة عدة مرات، ومن ضمن ما قاله بشأن اعتقاد بعض العامة أن قراءة "نافع" هي قراءة أهل الجنة، وهي معلومة لم تُنقل إلا في ألف ليلة وليلة وغيرها من التعليقات التي يعزو فيها الرد على الكتاب المذكور، كما ويلجأ إلى الكتاب المقدس الذي يرى المسلمون والمحققون أنه أسفار تاريخيّة كتبها مجهولون، ونسبت إلى الأنبياء بلا سند يوثقها، فيعرضها وكأنها وثائق متفق على صحتها ليخطئ القرآن الكريم إذا خالفها وناقضها[4].

اعتمد جولدتسيهر في كتابه "مذهب التفسير الإسلامي" منهج انتقائية المصادر والمصنفات، فقد كان يرمي إلى تحقيق افتراض بعينه اعتنقه مقدمًا واختار من المقدمات والوسائل والأمثلة في تاريخ التفسير ما يوصله إلى ذلك الغرض، ويحقق له النتيجة بعينها، فاقتصر على دراسة تفاسير محددة: كالطبري، وتفسير المنار، والزمخشري...، ولم يستقص بيان مذاهب التفسير كلها، وهذا لا يعني أنه ليس من حق الباحث أن يتبع أي الطرق المنهجية التي يريد في بحثه، لكن يتوجب عليه حينئذ أن يلتزم أصول هذا الطريق طوال بحثه، ولا يؤمن ببعض المناهج ويكفر ببعض، ما لو تتبع واستقصى جوانب التفسير المذهبي كلها من تشريعية وفقهية، إلى نحوية، أو أثرية موسوعية مستغرقًا جميع كتب التفسير لتكشفت له نتائج وحقائق مغايرة حول النص القرآني، ولكنه التجاهل المتعمد ليبدو محصول المسلمين من التفسير في النهاية رذاذًا متناثرًا فرقته الأهواء الحزبية والفكرية[5].

---

(١) جبل، محمد حسن، **الرد على المستشرق اليهودي جولدتسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية**، ص٣٦.

(٢) جبل، محمد حسن، **الرد على المستشرق اليهودي جولدتسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية**، ص٤١.

(٣) السقار، منقذ، **تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين**، ط١، مركز تكوين للدراسات والأبحاث: لندن، (٢٠١٥م)، ص١٠٠-١١٠.

(٤) السقار، منقذ، **تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين**، ص٢٣.

(٥) عزوزي، حسن، **مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم**، ص١٨.

٣-اتباع منهج التأثيرية (من تأثر بمن؟):

سبق وذكرنا أن اتباع المستشرق نزعة التأثرية غايته تشويه الصورة الحقيقة للإسلام عمومًا، والقرآن على وجه الخصوص، ورفع القداسة عنه وعن ربانية مصدره، ففكرة هذا المنهج أن أي فكرة أو معلومة في القرآن وعلومه يردها المستشرقون إلى مصادر خارجية كاليهودية والنصرانية بمجرد وجود تشابه بينهما، وأن القرآن مقتبس من التوراة والانجيل، ويعتبر "جولدتسيهر" أحد أهم الشخصيات التي أثرت في العقل الاستشراقي وشيدت موقفه تجاه القرآن الكريم من خلال كتابه "المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن" و"العقيدة والشريعة في الإسلام"، وفي هذا السياق يقول "جولدتسيهر" - وهو أحد أكبر القائلين بالتأثيرية - بشيء من التحايل وهو يحاول النفاذ من القرآن بحثًا عن عناصر أجنبية يشد بها إلى أصولها المدَّعاة: "القرآن مصدق لما سبق من الرسالات الدينية، وقد استصفى منها بعد فترة من الرسل ما هو جوهر الدين"، ولم يكتف بذلك بل تأثرًا بنزعة التأثيرية استدل لدعواه فيقول: "شعيرة الصلاة التي كانت بصورتها الأولى من قيام وقراءة وبما فيها من ركوع وسجود وبما يسبقها من وضوء تتصل بالنصرانية الشرقية، والصوم الذي جعل أولا من يوم عاشوراء محاكاة للصوم اليهودي الأكبر، وفيما يتعلق بشعائر الحج التي نظمها الإسلام أو بالأحرى احتفظ بها من بين تقاليد العرب الوثنية جعل محمد صلى الله عليه وسلم أهمية كبرى لنية التقوى التي يجب لن تصحب هذه الشعيرة"(١).

٤-اتباعه منهج الإسقاط على الكتب المقدسة:

المقصود قياس تاريخ القرآن على ما في ذهنه من تاريخ كتبهم المقدسة، ومن ذلك عند دراسته لتطور الكتاب المقدس وتحديد أطواره، يطالب بدراسة تطور القرآن قياسًا على الكتب المقدسة متناسيًا الفرق بينهما وبين القرآن وأن الأناجيل التي يعرفونها ما هي إلا سير عيسى عليه السلام من تأليف تلامذته، وقد شبه القرآن بالإنجيل مع اعترافه بالفرق بينهما من حيث العرض والاستظهار والإسناد والتدوين الخطي ونقل النص من جيل إلى جيل.

يقول "جولدستيهر" في ذلك: "لقد أفاد من تاريخ العهد القديم وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء"(٢)، وسار "جولدتسيهر" على هذا المنهج حتى صار من خصائص كتاباته، إذ من خلال دراسته لعلم مقارنة الأديان تعلم كيفية المقابلة والمقارنة بين النصوص، كما قابل بين تفسير البيضاوي في تفسير القرآن وطرق الشرح في التوراة والتلمود(٣).

٥-الحكم جِزافًا دون سند علمي:

كان سبب ذلك إعراضه عن دراسة إسناد القراءات -كما تقدم، ومن تلك الأحكام قوله إن القرآن الكريم من أكثر الكتب السماوية اضطرابًا "لا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافًا عقديًا على أنه نص منزل أو موحى به يقدّم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في

(١) جولدتسيهر، **العقيدة والشريعة في الإسلام**، ص١٠-١١.

(٢) جولدتسيهر، **العقيدة والشريعة في الإسلام**، ص٤٩.

(٣) عزيز، حمزة عبد المطلب، **موقف جولدتسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحيّة**، جامعة أم القرى، السعودية، رسالة ماجستير، (٢٠١٤م)، ص٧٥.

نص القرآن"[1]، وتم الرّد على هذه الأحكام التي تلقى جزافًا، والتي فيها تعميم فجّ إن "جولدتسيهر" لم يطّلع على كتب الشرائع السابقة في نصوصها الأصلية، فكيف يحكم بأنها لم تبلغ في الاضطراب مبلغ القرآن[2].

ومن الأحكام الجزافية التي أطلقها جولدتسيهر قوله عن نص القرآن: "إن نصه المشهور يرجع إلى الكتابة التي تمت بعناية الخليفة الثالث عثمان" والحقيقة التي يعلمها كل دارس لتاريخ القرآن أن القرآن كله موجودًا وجودًا ماديًا قبل كتابة المصاحف العثمانية، فقد كان المسلمون يرتلون نصوصه منذ أنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم في مكة قبل كتابة المصاحف العثمانية بما يقرب أربعين سنة، وأن نص القرآن الكرين كان يكتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فور إنزاله[3].

٦-التضخيم والتمويه شان أطراف الاختلاف في القراءات:

مثال ذلك نسبته ما زعمه قراءة " قال رب احكم بالحق" في قوله تعالى (قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ) إلى أحد ثقات القراء وتبين أن المقصود هو الضحاك بن مزاحم الهلالي (ت: ١٠٥هـ/٧٢٣م)[4]، والضحاك هذا ليس من رجال القراءات، بل إنه ليس من القراء أصلًا[5].

٧-اتباعه منهج المحاجة بما ليس قراءات على الحقيقة:

وهو خطأ منهجي فيه تقوّل وتدليس ونسبة قراءات إلى القرآن الكريم لم يعترف بها المسلمون، ومن ذلك ما جاء به من نحو سبعة وأربعين قراءة مثالًا للقراءات التي بنى عليها أحكامه ليتبين بعد ذلك أن عدد القراءات التي أوردها لا تُعدّ قراءات صحيحة، بل أضافها إلى القراءات الواردة، وفي منهجيته هذه دلالة على عدم إحاطته في موضوع القراءات العشر وقرآنيتها عند المسلمين.

٨-التخبط والتناقض في المعالجة:

لا يعتمد في نتائجه على حقائق، وإنما يذكر ما يظن أنه معلومة تدل على أمر ثم يأتي بما يخل بدلالاتها على هذا الأمر، مثال ذلك ما أورده في كتابه "مذاهب التفسير": أنه لا يستبعد أن يكون من دواعي تغيير كلمة "تعزروه" إلى كلمة "تعززوه" خشية ما تصوره الكلمة من أن الله تعالى ينتظر المساعدة والمعونة من الناس، وغاب عنه أن التعزير هنا يعني تعظيم وتقوية أمر، والمقصود به تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتقويته[6].

---

(١) عبد العزيز، حمزة عبد المطلب، **موقف جولدتسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصلاحية**، ص٨٣

(٢) جبل، محمد حسن، **الرد على المستشرق اليهودي جولدتسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية**، ص٤٥

(٣) جبل، محمد حسن، **الرد على المستشرق اليهودي جولدتسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية**، ص٤٦.

(٤) الضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٥-١٠٦هـ) الهلالي، أبو محمّد، أصله الكوفة، تابعي وقيل: أبو القاسم البَلْخيّ، صاحب التفسير كان محدّثًا مفسّرًا نحويًا وفقيه، قيل: لم يلقَ ابن عباس، وإنما لقي سعيد بن جبير بالريّ فأخذ عنه التفسير (ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١١، مؤسسة الرسالة: بيروت، (١٩٩٦م)، ج٤، ص٥٩٩.

(٥) جبل، محمد حسن، **الرد على المستشرق اليهودي جولدتسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية**، ص٤٧.

(٦) جبل، محمد حسن، **الرد على المستشرق اليهودي جولدتسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية**، ص٥٩-٦٠.

٩-نفي الحقائق وإثارة الشكوك:

يهدف هذا المنهج إلى نفي الحقائق القرآنية والوقائع التاريخية المرتبطة بنزوله وجمعه وسائر علومه، ويتم ذلك من خلال إثارة الشـــكوك والمبالغة في النقد إلى حد الإلغاء والنفي الكيفي لكل ما يتعارض مع وجهات النظر الاستشراقية، كما سلك أسلوب النفي الاعتباطي كقاعدة صلبة لتحليل التراث الإسلامي الحضاري، من خلال التشكيك بنصوص القرآن الكريم عبر ما سماه "اختلاف النص القرآني واضطرابه" ستة عشرة مرة في كتابه "مذاهب التفسير الإسلامي" وقوله في ذلك:" تتمثل المرحلة الأولى لتفسير القرآن وأوائل هذا التفسير المشتملة على البذور الصالحة في إقامة النص نفسه، فلا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافًا عقديًا على أنه نص مُنزل أو موصى به، قدَّم نصَّه في أقدم عصور تداوله، مثل هذه الصورة من الاضطراب، وعدم الثبات، كما في نص القرآن"(١).

ومن اشـــهر علوم القرآن التي طعن بها المســـتشـــرق "جولدســـتيهر" علم القراءات، ونقلها إلينا بالتواتر والنقل الصحيح، وهذا المذهب في النفي والتشكيك الذي اتبعه "جولدتسيهر" الذي اشتهر بفكرته الخاطئة عن أسباب اختلاف القراءات والتي أرجعها بطريقة ساذجة إلى خصوصية الخط العربي، ويقول في ذلك: "وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصـــوصـــية الخط العربي الذي يقدم هيكله المرســـوم مقادير صـــوتية مختلفة تبعًا لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته وعدد تلك النقاط"(٢)، ويقصد بهذه العبارة أن الكلمة تُكتب أولًا بهيكل (صورة الكلمة) حروف مجردة من النقاط قد يحمل أكثر من دلالة صوتية، وتتحدد هذه الدلالة بوضع النقاط فقط، وهذه هي الخصـوصـية التي تميز الخط العربي عن كثير من أنظمة الكتابة الأخرى، وقد انسـاق معظم المستشرقين وراء فكرة "جولدتسيهر" واتبعوا منهجه في ذلك.

إضافة إلى ما سبق من عرض للمنهجية العلمية المضطربة التي اتبعها المستشرق "جولدستيهر" في القراءات على وجه الخصـــوص للطعن في القرآن الكريم ككتاب سماوي، ودعاوى وأباطيل أخرى مثل ادعاء الحرية في إنشـــاء القراءات، وتزايدها واستحداثها بمرور الزمن وغيرها من الدعاوى التي تصدر عدد من الباحثين المسلمين للرد عليها، وهذا ما يستدعي بذل الجهود العلمية الفردية والجماعية في تحقيق كتابات ومؤلفات هذا المستشرق، والمستشرقين بالعموم، بناء على ما بيّنا من عوار المنهجية التي اتبعها في كتاباته حتى أصبحت عمدة الدراسات الأكاديمية بعد ذلك.

نتائج الدراسة:

١- أبرزت الدراسة المناهج العلمية التي اعتمدها المستشرقون في تناول الحضارة الإسلامية وعلومها، مثل: المنهج الشكي، الانتقاء، التأثير والتأثر، المقابلة والمطابقة، والمنهج التاريخي.

٢- بيّنت أن الدراسات الاستشراقية لم تقتصر على البحث العلمي المحض، بل ارتبطت بدوافع دينية واستعمارية وسياسية واقتصادية، وهو ما أدى إلى تشويه صورة الإسلام وعلومه وفقدان تلك الدراسات لعنصري الموضوعية والنزاهة.

٣- أكدت أن كتابات المســتشــرقين يغلب عليها التعصــب والانتقائية، حيث تم التركيز على الروايات الضـعيفة والشاذة وتجاهل المصادر الأصيلة، مما انعكس سلبًا على مصداقية النتائج المستخلصة.

---

(١) جولدتسيهر، **مذاهب التفسير الإسلامي**، مكتبة الخانجي: طبعة مصر، (١٩٥٥م)، ص٤.

(٢) جولدتسيهر: **مذاهب التفسير الإسلامي**، ص٦.

٤- أظهرت أن جولدتسيهر، رغم مكانته العلمية وكثرة إنتاجه، وقع في أخطاء منهجية جسيمة بسبب اعتماده على مصادر ثانوية غير موثوقة، وهو ما أثر بعمق على دراساته المتعلقة بالقرآن الكريم وعلومه.

٥- خلصت الدّراسة إلى ضرورة إعادة التحقيق والمراجعة النقدية لكتابات المستشرقين عامة، ولمؤلفات جولدتسيهر خاصة، لتجاوز ما شابها من انحرافات منهجية وتصورات مغلوطة.

المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر

الذهبي، محمد بن أحمد. (ت: ٧٤٧هـ/١٣٤٧م). **سير أعلام النبلاء**. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١١، مؤسسة الرسالة: بيروت، (١٩٩٦م).

ثانيًا: الطبقات والتراجم

الزركلي، خير الدين بن محمود. **الأعلام**. ط١٥، دار العلم للملايين: بيروت، (٢٠٠٢م).

ثالثًا: المراجع

إدريس، محمد جلاء. **الاستشراق الإسرائيلي في الدراسات العبرية المعاصرة**. ط١، مكتبة الآداب: القاهرة، (٢٠٠٣م).

بدوي، عبد الرحمن. **موسوعة المستشرقين**. ط٣، دار العلم للملايين: بيروت، (١٩٩٣م).

بركات هاني. **الاستشراق والتربية**. ط١، دار الفكر: الأردن، (٢٠٠٣م).

البهي، محمد. **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**. ط١١، مكتبة وهبة: القاهرة، (١٩٨٥م).

التهامي، نقرة. **القرآن والمستشرقون في الدراسات العربية والإسلامية**. مجموعة مؤلفين، ط١، مكتب التربية العربي لدول الخليج، (١٩٨٤م).

جبل، محمد حسن. **الرد على المستشرق اليهودي جولدتسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية**. ط٤، مكتبة الآداب: القاهرة، (٢٠٢٣م).

جولدتسيهر. **اجناس، العقيدة والشريعة في الإسلام**. ترجمة: محمد يوسف موسى، مصر، (١٩٤٨م).

______. **دراسات محمدية**. ترجمة: الصديق بشير نصر، ط٢، مركز العالم الإسلامي لدراسة الاستشراق: لندن، (٢٠٠٩م).

______. **مذاهب التفسير الإسلامي**. مكتبة الخانجي: طبعة مصر، (١٩٥٥م).

رضا، احمد. **معجم متن اللغة**. دار مكتبة الحياة: بيروت، (١٩٥٨م).

رودي بارت. **الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية**. ترجمة: مصطفى ماهر، المركز القومي للترجمة: القاهرة، (٢٠١١م).

زقزوق، محمود حمدي. **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**. كتاب الأمة، ط١، دار المعارف: القاهرة، (٢٠٠٨م).

الزيادي، محمد فتح الله. **ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها**. ط١، المنشأة العامة للنشر والتوزيع: طرابلس، (١٩٨٣م).

السباعي، مصطفى. **الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم**. ط١، دار الوراق: عمان، (١٩٩٨م).

سعيد، ادوارد. **الاستشراق: المعرفة، السلطة، والإنشاء**. ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية: (٢٠٠٦م).

السقار، منقذ. **تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين**. ط١، مركز تكوين للدراسات والأبحاث: لندن، (٢٠١٥م).

عامري، سامي. **هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى**. ط٢، مركز رواسخ: الكويت، (٢٠١٨م).

عباس، فضل حسن. **قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية**. (١٩٩٩م)، عن مادة (القرآن).

عبد الرؤوف، محمد عوني. **جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة**. ط١، المجلس الأعلى للثقافة: القاهرة، (٢٠٠٤م).

العقيقي، نجيب. **المستشرقون**. ج٢، ط٣، دائرة المعارف: مصر، (١٩٦٤م).

علي، محمد حسين. **المستشرقون والدراسات القرآنية**. ط١، دار المؤرخ العربي: بيروت، (٢٠٠٠م).

كيشانه، محمود. **الاستشراق اليهودي المعاصر المنهج والغايات**. ط١، مركز براثا للدراسات والبحوث: بيروت، (٢٠٢٤م).

ماضي، محمود. **الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده**. ط١، دار الدعوة: الإسكندرية، (١٩٩٦م).

مالك بن نبي. **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث**. ط١، طبعة دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، (١٩٦٩م).

محمد حسن. **الرد على المستشرق اليهودي جولد تسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية**. ط٤، مكتبة الآداب: القاهرة، (٢٠٢٣م).

محمد، إسماعيل علي. **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل**. مدخل علمي لدراسة الاستشراق، ط١، الكلمة للنشر والتوزيع، الشرقية: مصر، (١٩٩٨م).

المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية، ط٤، مكتبة الشروق الدولية: القاهرة، (٢٠٠٤م).

الميداني، عبد الرحمن حبنكة. **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها**. ط٨، دار القلم: دمشق، (٢٠٠٠م).

الندوي، أبو الحسن. **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية**. دار القلم: (١٩٨٣م).

النملة، علي إبراهيم. **كنه الاستشراق، المفهوم الأهداف، والارتباطات**. ط٢، مكتبة الملك فهد الوطنية: الرياض، (٢٠١٠م).

رابعًا: المجلات العلمية المحكمة

ال جهجاه، الجوهرة بنت بخيت. موقف المستشرقين النقاد من القرآن الكريم وإعجازه البلاغي. ترجمة ودراسة، **مجلة جامعة الأزهر**، كلية اللغة العربية، ١(٣٤)، (٢٠١٤م).

شوق، شاكر عالم. الاستشراق: أخطر تحد للإسلام. **مجلة دراسات**، الجامعة الإسلامية العالمية، شيتاغونغ، ج٣، ديسمبر، (٢٠٠٦م).

عبد الناظر، محسن. الحياة الدينية في القرن الهجري الأول بين الواقع وما افترضه المستشرق جولد تسيهر. **مجلة مركز البحوث السنة والسيرة**، جامعة قطر، العدد(٣)، (١٩٨٨م).

مصطفى، إسماعيل عبد الفتاح. **الاستشراق بين النشأة والأهداف**. حولية جامعة الأزهر، القاهرة، ٨(٨)، (٢٠١٦م).

خامسًا: الرسائل العلمية

عزيز، حمزة عبد المطلب. **موقف جولدتسـيهر من العقيدة والفرق والدعوات الإصـلاحيّة**. جامعة أم القرى، السعودية، رسالة ماجستير، (٢٠١٤م).

سادسًا: أبحاث الندوات العلمية

حسـن، محمد خليفة. دراسة القرآن الكريم عند المستشـرقين في ضـوء علم نقد الكتاب المقدس. بحث قدم ضـمن ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، **مجلة معهد الأمام الشاطبي للدراسات الإسلامية**، المدينة المنورة، العدد(٢)، (٢٠٠٦م).

عزوزي، حسـن. مناهج المسـتشـرقين البحثية في دراسـة القرآن الكريم. بحث قدم ضـمن ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، **مجلة معهد الأمام الشاطبي للدراسات الإسلامية**، المدينة المنورة، العدد(٢)، (٢٠٠٦م).

مقبول، ادريس. الدراسـات الاسـتشـراقية للقران الكريم في رؤية إسـلامية. بحث قدم ضـمن ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، **مجلة معهد الأمام الشاطبي للدراسات الإسلامية**، المدينة المنورة، العدد(٢)، (٢٠٠٦م).